كيف ترثي الشاعر الجميل، أمل دنقل ؟

أنت الآخر تموت. منتقلا من سرير الى سرير، ومن مستشفى الى منفى، تصارع الطبيعة كما صارعت الاستسلام والطغيان، وأخيرا تترك الكلمة معلقة، والشهادة نازفة، تموت. أنادي : أمل ! أمل ! لا تسمعني ولا تجيب. عينان بعيدتان عن الضوء، يدان راحلتان، قدمان مستريحتان في هذا الثوب الابيض الذي لا نخشاه.

لا أعرف أين هي «عبلة» الآن، ولا أقدر على إرسال برقية تعزية. في لقائنا السريع بالقاهرة تحدثنا طويلا عن الشعر، ومصر، والثقافة، والتاريخ، وتواطأنا على عدم ذكر الموت صراحة، كانت الموت خلف الكلمات، وكل منا يعلم أن هذا الذي نخفيه هو سيد الحضور.

تحدثنا في الشعر، وكان أحد زوارك يعود كل مرة لشعرك ويسمه بالشعر السياسي، تنتفض وتَحْتَجُّ لتؤكد أن شعرك اجتماعي لا سياسي. تستدعي قريش وتنسى الموت. تشد على يد «عبلة» وتضحك. يطوف بك الشعراء والنقاد والاصدقاء، الهاتف، دقات الباب، السهرات الطويلة، تدخن، تتناول الدواء، تضحك، تخاصم، تسأل، ثم تقرر المشاركة في الامسية الشعرية.

وتموت. لا هادئا تموت ولا غاضبا، تأخذك الطبيعة كما أخذت السياب قبلك. ونبقى في هذا الزمن الامريكي ــ الاسرائيلي أمام بحر لا يشبه البحر. كيف نُعَرِّفُ البحر ؟ وكيفَ يَعْرِفُنَا البحر ؟

الأمسيــة الاولى
الأمسيــة الثانية
الأمسيــة الثالثة

ولم يكن اللقاء جديدا. بعد هزيمة 1967 فاجأتنا بالبكاء بين يدي زرقاء اليمامة، وكان البكاء احتجاجا، غضباً، يتوحد فيه البسطاء بالبسطاء. ماذا أفعل الآن : أتذكرك ؟ أرثيك ؟ أحلم بك ؟ أم الهذيان هو مايتملّكُني ؟ تخاصمني لاني تأخرت عن موعد الوصول نتبادل السجائر، نضحك، وتموت.

أهكذا يجيء الموت ؟ أهكذا نموت ؟ مع من أتكلم الآن «عبلة» ؟ آه أيتها العزيزة. هذه الآه تدمرني وأصمت. أرى الى السماء، البحر، الطيور، وشيء من رماد الوقت. أتكيء على العكازة وأصعد الى حيث الصور شتيت ساطع، معتم. هذه المرة أيضا لا أعرف كيف أرثي الشاعر الجميل. أمل دنقل. أيتها الالف غير الوحيدة في سديم القبر.

محمد بنيس